قصة قصيرة

السيد عباس فاضل الاعتيادي

سهيل الخالدي

منذ شهور مضت وأنا أنقب بين الناس، في الحافلات والمطاعم، في المقاهي والشوارع، عن بطل لقصتي التي تعذبني وكأنها ماكنة طبيب أسنان تحفر فكي كسكين تقطع الأعصاب.

فأنا لا أحب أن يكون أبطالي من الناس الاعتياديين، فكل النقاد « وهم زوجتي وأبني الصغير » يوجهون لي انتقادات مريرة لأن أبطالي تصنعهم الظروف ولا يصنعونها، تأخذهم الحياة ذات اليمين وذات الشمال ولا يأخذونها.

ولأني أديب أحب أن أشتهر حتى بعد بلوغي سن التقاعد، تخليت منذ ثلاثين سنة- نعم منذ ثلاثين سنه- عن أبطالي الاعتياديين، لذلك فشهرتي اليوم واسعة، وكل الجيران يعرفون أني أديب كبير « ملحوظة غير مهمة: نسبة الامية بين الجيران ٩٩٪ ».

لذلك لم أكن أفكر بكتابة حرف واحد عن زميلي في الشركة السيد عباس فاضل الاعتيادي.. ليس لأنه فلسطيني ولا أحد من المسؤولين يحب الكتابة عنه أو عن بلده، ولا لأنه يملك وجهاً اعتيادياً ليس فيه ما يثير الانتباه، ولا لعدم أهميته في شركتنا، ولا لأنه اكتسب لقب « الاعتيادي » من كثرة تداوله اللفظة حتى عرفت به وعرف بها... بل لأنه لم يقم بشيء يلفت إليه النظر... حتى أن سجلّه يخلو من غياب أو إجازة مرضية.

ويقال في شركتنا إن الاعتيادي أحب قبل عشر سنوات من الآن زميلة كوى حبها فؤاده سنوات طويلة، ولم يجرؤ على مفاتحتها بذلك، حتى أنها سألت حين قيل لها ذلك- بعد سنوات من زواجها- : هل حقاً يوجد في شركتنا موظف يدعى « عباس »؟!

وشخصياً أحببت أن أمازحه ذات يوم وأن أجعله يقول شيئاً غير اعتيادي، ففتشت أوراق ملفه (بصفتي مسؤول شعبة الادارة) فلم أجد ما يسعفني غير وريقة في آخر الملف تحتوي على ملاحظة هامشية تقول إنه استقال من وظيفته السابقة قبل أكثر من عشرين سنة لخلاف بينه وبين رئيس شعبته المدعو لطفي. فاستدعيت عباساً إلى مكتبي وقدمت له شاياً تردد في شربه ثم ألقاه دفعة واحدة في جوفه.

- لا تستعجل يا أستاذ، اشرب الشاي على مهلك.

قلتها معتمداً تأخيره، فأجابني بصوته الفلسطيني اليومي:

- عندي بعض المعاملات يجب أن أتمها.
- إذا سمحت، عندي سؤال؟
- تفضل!
- لماذا اختلفت مع السيد لطفي، ثم استقلت؟
- إنه شيء اعتيادي.
- كيف يكون ذلك الشجار الذي أساء إلى سمعتك الوظيفية شيئاً اعتيادياً؟!

سألته مشدداً على سمعته الوظيفية حتى يبدو الأمر كجريمة

نكراء، لكنه قال بهدوء المقبرة:

– حين يتصرف الآخرون تصرفاً غير اعتيادي معك، فلا يمكنك أن تكون اعتيادياً معهم، ما لم تكن شريكاً لهم.. أليس كذلك؟

– أكمـــل.

– إذن فموقفي من الأمور الاعتياديـــة.

– لكن هل علمت أنه أحيل إلى محكمة الجرائم الاقتصادية؟

– وهذا أمر اعتيادي أيضـــاً.

وهنا ضقت به ذرعاً وصرفته، ليس بالتي هي أحسن وإن لم أصل إلى التي هي أسوأ، وإن تملكتني في ذلك رغبة غير اعتيادية... إذ انني كنت قد ذهبت ذات سنة أعزيه بوفاة والده، فقال وهو يقدم لي فنجـان القهوة المرة:

– اشرب، إنه أمر اعتيادي.

وزرته بعد ذلك بسنوات حين أنجبت له زوجته طفلاً جميلاً، وكانت مجموعة الزملاء قد كلفتني، بصفتي مسؤول شعبة الادارة، أن أقدم باسمهم هدية مشتركة، وهنأته بحرارة، فقال وهو يقدم حبة الحلوى:

– تفضل.. إنه أمر اعتيادي.

لهذه الأسباب جميعها لم أكن أتوقع أن أكتب عن عباس فاضل قصة ما، حتى في ذلك الزمن الفاشل الذي كان فيه الناس العاديون يسيطرون على قصصي، إذ ليس من الممكن أبداً أن يكون أي موظف مثله يغطس في الأوراق حتى آخر دقيقة في الدوام، يضبط الموظفون ساعاتهم على موعد دخوله وخروجه، والذي لم يستلف من الصندوق أي سلفه (غير مدين للزملاء) والذي لم يطلبه أحد في التلفون من خارج الشركة... ليس من المعقول أن يكون هذا الشخص حرفاً واحداً في قصصي التي طارت شهرتها بين الجيران!!

ليس من المعقول أن أكتب عنه، فكيف حين يكون مثل هذا شخصاً فلسطينياً!؟

أما الآن.. نعم.. في هذا الشهر السادس من هذا العام البائس، فقد قررت أن أكتب عنه قصة! والسبب!؟

أني زرته أمس في المستشفى حيث يرقد والضمادات تملأ جسده ومن حوله زوجته وأطفاله الصغار... أما لماذا أدخل المستشفى، فهذا هو الحدث غير الاعتيادي في حياة السيد عباس فاضل الاعتيادي!

لم تصدمه سيارة فهو يطبق قواعد المرور بحذافيرها، لم يتشاجر مع جيرانه فهو يؤمن بالحكمة القائلة: صباح الخير يا جاري أنت في حالك واني في حالي، لم تضربه زوجته فهو يضاجعها «يومياً» وليلياً، ويعطيها كل مرتبه شهرياً!!

كل ما في المسألة أنني (بصفتي مسؤول شعبة الادارة) قررت أن أجعله يخرج من الشركة لبعض الوقت، فملفه لا يحتوي حتى على إجازة زمنية... لذلك ارسلته إلى المطار ليتسلم ارسالية مستوردة لحساب شركتنا.. وفي طريق المطار حاجز فحاجز فحاجز، وعند أول حاجز أطاروا يمينه، نعم يمينه، لا لذنب أقترفته شماله! فقد أكد محضر التحقيق أن المدعو عباس فاضل الاعتيادي مجرم كبير يستحق أقصى العقوبات التي تبدأ بالموت، لسببين هامين:

أولهما: أنه يطبق كل قواعد المرور بكل دقة وعناية

وثانيهما: أنه كتب في خانة الجنسية كلمة «فلسطيني!»

وحين جلست إلى جانبه ورتبت الزهور في مزهرية عند رأس السرير ووجهي ممتلىء بالألم (فأنا من اولئك الذين لا يحسنون اخفاء عواطفهم) قلت له بوقار مسؤول إدارة يبلغ سن التقاعد:

– لا تهتم ولا تحزن ولا...

فقاطعني صوته الفلسطيني:

– إنهم لم يفعلوا شيئاً غير اعتيادي

الكويت

دَارالآدَاب تقدم

سلاسل

دار الآداب للصغار

- غنّوا يا أطفال (١٠ اجزاء) للاستاذ سليمان العيسى
- شعراؤنا يقدّمون أنفسهم للاطفال (١٠ اجزاء) « « «
- سلسلة «صبّاح» للاستاذ زكريا تامر
- قصص مختلفة « « «
- تراثنا بعيون جديدة لمجموعة من الادباء
- اجمل قصص الاطفال في العالم

دار الآداب شارع اليازجي، بناية مركز الكتاب، ص.ب ٤١٢٣ تلفون ٢٣٢٨٣٢ ٣٠٢٩٨٦